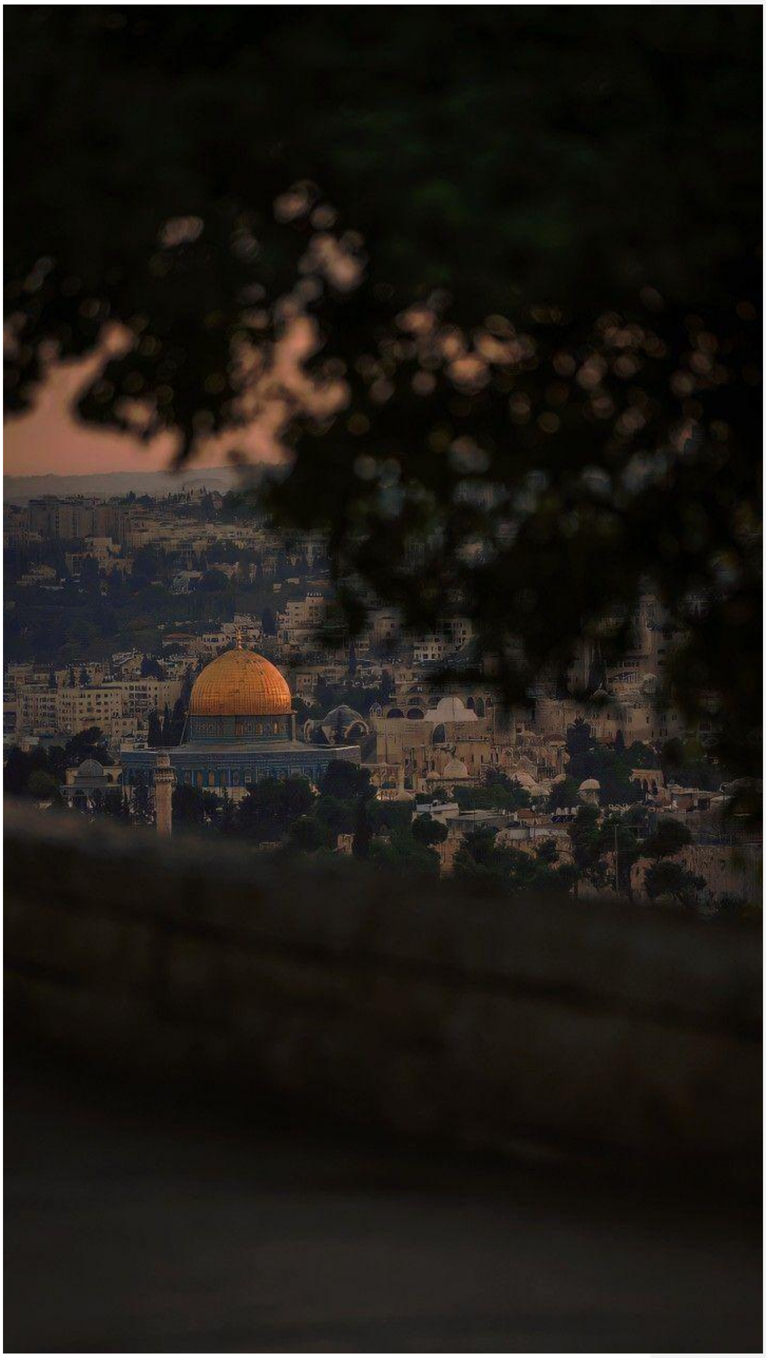

و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

وقفات مع سورة الإسراء

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٢٧/١٢/١٤٤١ هـ

وقفات مع سورة الإسراء

بسم الله والحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم.

لنا اليوم وقفات مع سورة الإسراء

اشتد أذى الكفار للنبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا العام (عام الحزن)، وقد سمى المؤرخون هذا العام بأنه عام الحزن لما حصل فيه من الأحداث منها وفاة السيدة خديجة -رضي الله عنها- ووفاة عمه أبي طالب، فالإنسان إذا فاته الركن الذي يستند إليه على مقياس البشر وعلى المقياس الإنساني فهو جانب مؤلم، لذلك فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما كان منه إلا أن أوذي بعد وفاة عمه وقد حاول النبي - صلى الله عليه وسلم – أن يكسب مزيدًا من الذين يدعوهم إلى دعوة الإسلام ومن الأنصار، لكن التقدم لم يكن ذا شيء وكان الأذى والصد هو المقابل له، فماذا فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟

ما كان منه إلا أن ذهب إلى الطائف ليبحث عن أرض جديدة يحاول فيها أن يجد مكانًا خصبًا يدعو فيه، لعله يجد هناك من يؤمن به ويستطيع أن يجد عنده مأمنًا لإبلاغ هذه الدعوة، لكن أهل الطائف قابلوه بصد أشد من صد قريش وأغروا به السفهاء والأطفال فقاموا يستهزؤون به ويسخرون به، وبلغ بهم الأمر أنهم صنعوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - صفين من هؤلاء السفهاء يضربون النبي - صلى الله عليه وسلم - بالحجر حتى دميت عقباه، فتخيلوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي نفديه بآبائنا وأمهاتنا وهو يمشي وحيدًا في طرقات الطائف هاربًا منها بعد هذا الصد الذي لاقاه.

فأين يذهب النبي - صلى الله عليه وسلم -؟ لم يجد مكانًا حتى مكة لم يستطع أن يدخلها لذلك الصد، فكان هناك من يتربص به ولم يستطع دخولها إلا بجوار المطعم بن عدي الذي قال له: "أدخل يا محمد فأنت في جواري" وحملها له النبي - صلى الله عليه وسلم - وفاء له في القصة المعروفة في غزوة بدر، فقال: " لو كان المطعم بن عدي حيًا وكلمني في هؤلاء النتنة -يقصد الأسرى- لشفعتهم له ولأعطيتهم له".

-في منتصف القرآن

الشاهد أنه في خلال هذه الفترة الحزينة في عمر الرسالة وهذا الصد الذي قوبل به النبي - صلى الله عليه وسلم - من قريش ثم من الطائف نزلت مجموعة من السور تسلي النبي - صلى الله عليه وسلم - وتأتي مثل البلسم البارد على قلبه، منها سورة القصص التي ذكرت قصة موسى مع فرعون وغيره من الأقوام، ومنها سورة يونس أيضًا ثم جاءت سورة الإسراء التي هي مدار حديثنا اليوم.

وقبل أن نبدأ في الدخول بسورة الإسراء سنبدأ من نهاية سورة النحل، قلنا قبل قليل أن ننتبه إلى ترتيب السور، فترتيب سورة الإسراء في منتصف القرآن في الجزء الخامس عشر، وقبلها سورة النحل وبعدها سورة الكهف، وسورة النحل تنتهي بقول الله عز وجل: "واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" (لنحل:١٢٧-١٢٨).

دعونا ندخل في سورة الإسراء ونرى كيف أن الله عز وجل تكون معيته مع عباده الذين اتقوا والذي هم محسنون، يقول الله سبحانه "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير"(الإسراء:١).

انتهينا في سورة النحل بذلك التصبير للنبي -صلى الله عليه وسلم- اصبر وما صبرك إلا بالله فننتقل في سورة الإسراء إلى معية الله مع عباده، ولما ضاقت الأرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - محمد بن عبدالله فإذا السماء تتسع له، وإذا بالملأ الأعلى كله يحتفي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتفتح له السماوات السبع حتى يبلغ بها سدرة المنتهى وتصبح هذه الصورة حادثة الإسراء والمعراج هي دليل سورة الإسراء ولذلك قالت عائشة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان النبي -عليه الصلاة والسلام- لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل. رواه الترمذي، وصححه الألباني. فكانت بني إسرائيل هي اسم من أسماء سورة الإسراء.

وأيضًا سميت بسورة سبحان، وهذه السورة فيها مزية أنها افتتحت بكلمة سبحان (سبحان الذي أسرى بعبده) وهي تنزيه وتقديس لله عز وجل، وسنرى هذا التنزيه والتقديس لأن هناك أحداث عظام حملتها هذه السورة ولا يمكن أبدًا أن تكون إلا بمعجزة من عند الله عز وجل، ثم اختتمت هذه السورة أيضًا بالحمد، وهذه سنن الله لا تتحول ليقابل الإنسان هذه السنن التي لا تتحول ومعية الله لعباده وأن الحق دائمًا يغلب الباطل كانت نهاية هذه السورة: "وقل الحمد لله".

دعونا نرى أن هذه السورة من أهم محاورها ما جاء من مكر الكفار بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ومعارضتهم لتلك الرسالة التي جاء بها، ولذلك ما كان في سياق الأحداث لمّا ضاقت عليه الأرض وضاق الناس برسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - فتح الله عز وجل له السماوات السبع كما قلنا، منه حديث أبي ذر قال -رضي الله عنه-: قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام» قال: قلت: ثم أي؟ قال «المسجد الأقصى» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة» رواه البخاري.

حديثنا إذًا عن المكان الذي أُسري إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذه الآية التي ذكرناها قبل قليل في قوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير"(الإسراء:١). هذه الآية اشتملت على معجزتين اثنتين ليست معجزة الإسراء وحدها أنه أسري بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وكان في الغالب هذه المسيرة على الخيول وعلى الجمال تأخذ ما يقرب من شهر وأكثر يقطعها النبي - صلى الله عليه وسلم - في لحظات فقط وليس ليلة!

ليست هذه المعجزة الوحيدة التي تذكرها هذه الآية، بل لما نتأمل "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا" نجد أن هناك معجزة ثانية وهي أن هذه الحادثة حصلت أيضًا في وقت الليل، أي: أن كل الأحداث التي سنذكرها بعد قليل من دخوله إلى المسجد الأقصى ورؤيته للتفاصيل، الحلقة التي ربط بها خيله، الدابة التي هي البراق، رؤيته للأنبياء، عروجه إلى السماء ورؤيته وملاقاته لكل الملأ الأعلى بمن فيه كان ليلًا!

لم يكن هناك نور وهذا دليل على أن النور الذي كان يرى به النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن نور الشمس وإنما هو نور خاص وضعه الله -عز وجل- ليرى به النبي - صلى الله عليه وسلم - هو نور لا يتقيد بليل أو نهار،

ولذلك قال الله -عز وجل- في هذه الآية (سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)، والهدف من هاتين المعجزتين (لنريه من آياتنا) فكان يمكن أن تكون المعجزة والإسراء أن يكون الإسراء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - نهارًا يرحل به أمام أعين الناس لكن الله -عز وجل- جعلها ليلًا غاية في الإعجاز، وليريه الله -عز وجل- من آياته التي يريده أن يراها (إنه هو السميع البصير) وحينما أثنى الله -عز وجل- عليه لم يقل أسرى بنبيه ولم يقل أسرى برسوله وإنما قال: (أسرى بعبده) ولذلك أعلى مقامات الإنسان عند ربه هو مقام العبودية وهذا المقام هو الذي امتدح الله -عز وجل- دائمًا به أنبياءه كقوله تعالى: "إنه كان عبدًا شكورًا"(الإسراء:٣). إلى غيرها من الآيات التي تستعرض فيها أن العبودية هي أعلى مقامات الأنبياء.

ثم بعد ذلك قال الله -عز وجل-: "إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" لاحظوا أنه لم يقل إلى المسجد المبارك أو المسجد الأقصى المبارك وإنما قال الله -عز وجل-: "إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" وكون البركة حول المسجد الأقصى تعني أن المسجد نفسه هو عين البركة، فالأشياء حوله عندما تكون مباركة إذًا عين المسجد هو سبب هذه البركة، ولذلك البركة ليست كما يشتهر عند الناس أنها بركة الطعام والفواكه وغيرها، فهذا يشترك فيها أماكن كثيرة وإنما البركة الأخص للمسجد الأقصى هي بركة الإيمان والنور، ولذلك خصص المسجد الأقصى بذلك.

في قوله تعالى: "من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى" تروي أم هانئ وكان يبيت النبي - صلى الله عليه وسلم - عندها وقد حصلت حادثة الإسراء من بيتها، وقيل من عند المسجد الحرام أنه خرج من بيتها إلى المسجد الحرام ثم أسري به.

التقى به جبريل في تلك الليلة وقدم له البراق وهي دابة للنبي - صلى الله عليه وسلم - أكبر من الحمار وأصغر من البغال، هذه الدابة لا تشبه دواب الأرض، ينتهي حافرها يعني ساقها قدمها أينما ينتهي إليه بصرها، يعني أينما ترى فرجلها تذهب إلى ذلك المكان، ولذلك المسير الذي تسيره الجمال والخيول في شهر وأكثر من ذلك من مكة إلى المسجد الأقصى في فلسطين مشاها النبي - صلى الله عليه وسلم - في لحظات مثل طرف العين.

لما وصل النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى المسجد الأقصى ومعه جبريل ربط النبي - صلى الله عليه وسلم - دابته في حلقة عند حائط البراق، كما يقال حائط البراق هو الذي يصلي ويركع عنده اليهود الآن. ثم دخل النبي - صلى

الله عليه وسلم - وصلى ركعتين في المسجد الأقصى فلما خرج فإذا جبريل معه إناءين إناء فيه خمر وإناء فيه لبن فاختار النبي - صلى الله عليه وسلم - إناء اللبن، فقال له جبريل: اخترت الفطرة. واختارت أمته من بعده هذه الفطرة.

ثم كان موعد النبي - صلى الله عليه وسلم - للعروج إلى السماء وبالفعل عُرِج برسول الله إلى السماء وهو حي وقد يكون هو الوحيد من البشر الذي صعد به إلى السماء وهو حي ثم عاد منها إلى الأرض، ذهب إلى السماء وكانت تفتح له كل سماء في حديث طويل، طوله يقارب الثلاث أو الأربع صفحات وفيه أحداث كثيرة، منها أن النبي - صلى الله عليه وسلم – لاقى آدم -عليه السلام-، ويونس -عليه السلام-، وبني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى-عليهم السلام- وكذلك ماشطة ابنة فرعون وموسى-عليه السلام- وغيرهم إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى،

كل ما وصل إلى طبقة من طبقات السماء أو يعني واحدة من مراتب السماء كان يلتقي فيها بمجموعة من الأنبياء إلى أن وصل المنتهى. والمنتهى مرتبة لم يصل لها أحد حتى جبريل -عليه السلام- لم يكن ليستطيع أن يصلها ولذلك وقف دونها وعُرِج بالنبي - صلى الله عليه وسلم- إليها وكلم ربه.

ونزلت الصلاة وفرضت خمسين صلاة ثم نزل بالحادثة المعروفة فموسى-عليه السلام- قال له: "وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة " رواه البخاري يعني قومك لن يستطيعوا أي أمة محمد لن تستطيع أن تصلي خمسين صلاة في اليوم، فراجع النبي -عليه الصلاة والسلام- فذهب مرة أخرى إلى ربه فراجعه فأنزلت إلى عشر ثم إلى خمس صلوات فقال له موسى-عليه السلام-: "اذهب إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يستطيعون" موسى -عليه السلام- أمته اليهود ماذا عندهم؟ هم يصلون صلاة واحدة في اليوم وهي في يوم السبت، والنصارى يصلون صلاة واحدة في يوم الأحد. أما أمة محمد فإنهم يصلون في اليوم الواحد خمس مرات، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " قد استحييت من ربي" رواه البخاري فاستحيى من الله أن يرجع ويخفف خمس صلوات، فهي خفيفة جدًا يعني كيف لا نستطيع أن نطيقها؟ ومن كرم الله -عز وجل- لنبيه ومن على هذه الأمة أنه لا زالت إلى يومنا هذا والمسلمون صامدون على خمس صلوات في اليوم والليلة والأذان يصدح بها.

-كالحلس البالي-

لما وصل إلى تلك المرتبة لم يستطع جبريل كما قلنا أن يكون معه فوقف دونها، وقال النبي -عليه الصلاة والسلام- عن جبريل الذي يراه على صورته التي هو عليها وصورة جبريل كما وصفه النبي -عليه الصلاة والسلام- "رأيت جبريل وله ستمائة جناح، ينتثر من ريشه التهاويل، الدُّر والياقوت" رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر. هذا الخلق الذي يسد ما بين طرفي السماء لما وصل إلى مرتبة المنتهى ارتمى جبريل كالحلس البالي، الحلس البالي مثل: قطعة الجلد المرمية في الأرض، هذا الانكسار من جبريل -عليه السلام- هو مصداق العبودية لله -عز وجل- الحديث ليس عن حادثة الإسراء لأن الحادثة لوحدها الحديث عنها يطول، وإن كنت لم تقرأ في حادثة الإسراء والأحداث التي حصلت فيها فأنصحك بذلك، في الحديث الطويل منذ أن عرج بالنبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أن فرضت الصلاة إلى أن نزل.

-لقاء الأنبياء-

الشاهد من هذا كله نريد أن نقف فقط عند موقف واحد من حادثة الإسراء كلها، لما هبط النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد هذا كله هبط إلى المسجد الأقصى، فوجد في انتظاره اجتماعًا كبيرًا جدًا، ووجد النبي -عليه الصلاة والسلام- كل الأنبياء من آدم -عليه السلام- مرورًا بنوح، إبراهيم، يونس، هود، يعقوب، يوسف، موسى وعيسى ابن مريم -عليهم السلام- كل الأنبياء وجدهم في المسجد الأقصى ينتظرونه، وفي خلال هذا اللقاء وإذا بالأذان يأتي لصلاة الفجر، فيصلي بهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بعد أن أشار له جبريل أن تقدم، فيتقدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكل الأنبياء من بعده.

هذا الأمر العظيم والأمانة الثقيلة لنبينا -عليه الصلاة والسلام- ولأمته من بعده والتي تحمل إشارة ودليل على أن هذه الأمة هي الأمة الخاتمة ونبينا -عليه الصلاة والسلام- هو النبي الخاتم.

ولذلك كل هؤلاء الأنبياء من آدم -عليه السلام- إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- قدموا رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ليصلي بهم، فكأنهم يورثونه الرسالة ويعطونه الراية ليحملها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ولتحملها الأمة من بعده.

طبعًا هذه الرسالة الثقيلة والشرف الثقيل أيضًا لم يكن لهذه الأمة لفضلها لكونهم عرب أو لكونهم فقط هم من أمة محمد -عليه الصلاة والسلام- وإنما هذا الشرف وخيريتها بحسن عملها وبأمرها بالمعروف وبنهيها عن المنكر، قال الله عز وجل: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"(آل عمران:١١٠) ولذلك جاءت الآيات من بعدها ترشدنا إلى هذا الطريق وحتى لا نكون كالأمم السابقة الذين فضلوا على الأقوام من قبلهم دهورًا وقرونًا طوال، ثم لما فسدوا هم وانحرفوا عن الطريق الذي وضعه الله -عز وجل- لهم وتنكبوا عنه كانت الدولة عليهم وكانت الهزيمة بهم وسلط الله عليهم من يستبيح حرمتهم.

إذا ضابط الخيرية وضابط النصرة والموالاة هو أن تكون عبدًا لله -عز وجل- لاحظوا معي أن الله -عز وجل- قال: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير". والآية التي بعدها مباشرة قال الله -عز وجل-: "وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا" (الإسراء:٢). الآيات هذه آيات عظيمة وفيها إشارات عظيمة في نقل الخيرية من تلك الأمة من بني إسرائيل ومن الأقوام السابقة وانتقالها إلى هذه الأمة الأخيرة أمة محمد -عليه الصلاة والسلام- وأن هذا الكتاب الآن الذي أتى به النبي -عليه الصلاة والسلام- هو الكتاب الخاتم.

وحينما تسأل كيف وصل الكتاب إلى بني إسرائيل؟ يجيبك الله في قوله تعالى: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا" (الإسراء:٣). فكأن الأقوام المؤمنة هم يرثون بعضهم البعض فذرية من حملنا مع نوح من المؤمنين الصادقين هم فقط الذين نجوا من الطوفان العظيم، هذه الذرية هي التي تناسلت بعدها الأقوام وجاء من بينهم قوم موسى -عليه السلام- الذي جعله الله هدى لبني إسرائيل.

تخيلوا إذًا هذه الرحلة في رحلة الإسراء والمعراج لم يكن وجه الإعجاز فيها فقط هو الانتقال كما قلنا مسيرة شهر بلحظات، ولا لكونها في الليل فقط، لكن هي مسيرة أيضًا بحجم الزمان! النبي -عليه الصلاة والسلام- رأى فيها الأنبياء السابقين ففيها طي للزمان، وكما رأى الأنبياء السابقين رأى المستقبل أيضًا، لأنه رأى ما سيحصل في الجنة والنار، فقد أطلعه الله -عز وجل- على ذلك.

تسلسل الكتاب من بني موسى-عليه السلام- إلى النبي -عليه الصلاة والسلام حيث قال الله -عز وجل-: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا"(الإسراء:٣). كلنا نعرف قصة نوح ونعرف أنه العبد الذي عالج قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ومع ذلك حينما امتدح الله نوح في هذا السياق في هذه السورة امتدحه بأنه عبدًا شكورًا، ولذلك فيها إشارة هنا لبني إسرائيل أنكم مدرجين بين نعمتين:

<u>النعمة الأولى:</u> حينما أنقذكم الله -عز وجل- وأنقذ آباءكم وأجدادكم في سفينة نوح من ذلك الطوفان العظيم.

<u>والنعمة الثانية:</u> حينما أنجاكم من الغرق من جنود فرعون حينما ضرب لهم البحر فكان سبيلًا لهم.

هاتان النعمتان قابلوها بني إسرائيل بمفسدتين عظيمتين جاءت بها الآيات، فقال الله -عز وجل- بعدها: "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا*فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولًا * ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا"(الإسراء:٣-٦).

دعونا نقف قليلًا هنا إلى ما هو الحكم الكوني الذي حكمه الله -عز وجل- على بني إسرائيل؟ والحكم الكوني هذا حكم نافذ حاصل لا محالة لبني إسرائيل، وهو عهد من الله -عز وجل- على هذه الأمة وجاء استعراض بني إسرائيل ليكشف عن صفاتهم الخسيسة في ذلك الإفساد. بنو إسرائيل هم أكثر الناس ذكرًا في القرآن لأنهم أكثر الناس مكرًا بحملة الحق وأشدهم إعراضًا عن الوحي، قال الله -عز وجل- عنهم: "كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون" (المائدة:٧٠).

كل ذلك التفضيل الذي جاء لهذه الأمة التي لها نبي واحد هو النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- أما بني إسرائيل فلا يستطيعون العيش من غير أنبياء، ولذلك كان الأنبياء فيهم كثر، وفي مقابل هذا كان صدهم ومكرهم بهؤلاء الأنبياء شديد وإعراضهم عنهم أيضًا كثير،

ولذلك قال الله -عز وجل- عنهم: "كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون"(المائدة:٧٠). اليهود هم أسود الأمم تاريخًا في سفك الدماء، وليس المقصود دماء الأبرياء ولا القتلى كما هو معروف عنهم اليوم أيضًا، ولكن في سفك دماء أنبيائهم لأن الغالب على الأمم أن أعظم قدوة وأعظم رمز عند أي أمة من الأمم هم أنبياؤها، موسى، عيسى وغيرهم -عليهم السلام- ومع ذلك لا توجد أمة من الأمم قتلوا أنبياءهم مثل بني إسرائيل قال الله -عز وجل- عنهم في آيات كثر: "وقتلهم الأنبياء بغير حق"(آل عمران:١٨١). وهم أكثر الأقوام خيانة للعهود، فلا يوجد عهد يعاهده اليهود مع البشر وفوق ذلك مع ربهم، ومن شاء فليقرأ سورة

البقرة وينظر كم مرة عاهد بنو إسرائيل الله -عز وجل- على أمر ثم نقضوا عهودهم بعد ذلك. وأخذ الله -عز وجل- الجبل ورفعه فوقهم ليأخذ عليهم العهد والميثاق، فيتوبوا ويأخذوا العهد، ثم يرجعوا فينتكسوا على رؤوسهم، قال الله -عز وجل- عنهم: "أو كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم"(البقرة:١٠٠).

واليهود أشد الشعوب جرأةً على الله تعالى قالوا لموسى-عليه السلام- حتى نؤمن لك أرنا الله جهرة، وفوق كل المكارم التي أنزلها الله -عز وجل- عليهم من المن والسلوى وغيرها قالوا: "إن الله فقير ونحن أغنياء"(آل عمران:١٨١). ثم قالت اليهود في قوله تعالى: "يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا"(المائدة:٦٤).

واليهود أيضًا هم أكثر أمة لعنت على لسان أنبيائها، ولا نجد أنبياء يلعنون أقوامهم مثل ما لعنوا بني إسرائيل قال الله -عز وجل- عنهم: "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم"(المائدة:٧٨). "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه"(المائدة:٧٩). ومن صفاتهم التي لا تتبدل أنهم أكثر الناس وأكثر الأمم حبًا في إشعال الفتن والحروب، قال الله -عز وجل- عنهم: "كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله"(المائدة:٦٤). ولذلك ما من حرب تقوم إلا وفتش عن اليهود واقرأ! لابد أن يكون لليهود يد من ورائها أو من خلفها.

في معركة الأحزاب عندما نقرأ في سياق الأحداث نجد أن وفدًا من يهود بني قريظة ومن يهود خيبر ذهبوا بوفد إلى قريش في مكة، يقولون الأشعار بآلة إعلامية مكررة، ويأتون عليهم بأخبار مَنْ قُتِل من زعمائهم وذلك تجييشًا لهم للدخول في معركة ضد النبي -عليه الصلاة والسلام- إذًا هؤلاء كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، وهم فوق ذلك ضرب الله -عز وجل- عليهم الذل قال الله -عز وجل-: "ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس"(آل عمران:١١٢). فهؤلاء الذلة مضروبة على وجوههم وعلى أنوفهم فهم أذلة جبناء وفوق هذا الذل والجبن أيضًا لا يمكن أن يعيشوا إلا بإمداد وبخطوط أكسجين تنقذهم دائمًا سواءً من أي دولة ثانية أو أي قوة أو جيش آخر يأتي بإمدادهم، ولذلك هم دائمًا يعيشون كالبراغيث عالة على الأجساد.

وهم أيضًا جبناء وأحرص الناس على الحياة وهذا معروف عن اليهود وأبسط طفل فلسطيني يعرف ذلك عند مجابهته لليهود، قال الله -عز وجل- عنهم: "لا يقاتلونكم جميعًا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد"(الحشر:١٤). فمن أيام حصن خيبر وحصونهم في بني قريظة وبني قينقاع وغيرهم وهم لا يعيشون إلا في حصون وراء جدر، والجدار العازل الذي يبنونه الآن بينهم وبين الفلسطينيين هو امتداد لسجلات سابقة ولتاريخهم السابق، إذا قرأتم أي كتاب عن مذكرات الضباط أو غيرهم الذين دخلوا في حرب الثلاثة وسبعين (حرب أكتوبر) مع مصر حين يتكلمون عن حرب العبور وخط بارليف وغيره تجد الضباط في مذكراتهم يقولون: فدخلنا على اليهود، الذين هم أشد الناس تحصينًا خط بارليف هذا كان من الخطوط المحصنة التي لا يمكن لأي قوة أن تقتحمها، وفوق هذا كانت حصون على امتداد هذا الخط لا يمكن لأحد اختراقها إلا ويرونه من وراء الحصون،

ومع ذلك وصل المسلمون في ذلك الوقت، اقتحم الجيش المصري الخط ووصلوا إليهم قالوا: وكانت المفاجأة أن اليهود لم يطلقوا طلقة واحدة ودخلنا عليهم في حصونهم وقد كانوا في هذه الحصون متجمدين من هول

الموقف بجبن، لأنهم يهود فهذا تحقيق بأنهم لا يقاتلون إلا من وراء جدر أو بأسهم بينهم شديد حينما يلتقون طبعًا بجيش مسلم يقاتلهم على ذلك فإذا كنا نحن أضعف فلا شك أن الدالة لهم.

فوق ذلك يقول الله -عز وجل- عنهم أيضًا من صفاتهم أنهم يتوارثون هذه الصفات الدنيئة وهذه الصفات والعداوات جيلًا عن جيل وأبًا عن أب وجدًا عن جد، ولذلك اليهود الذين نعايشهم اليوم هم امتداد لذلك الجيل، فحينما يقول القرآن عنهم مخاطبًا النبي -عليه الصلاة والسلام- أن اليهود الذين يعيشون معك يا محمد -عليه الصلاة والسلام- إنما هم امتداد لذلك الجيل، قال الله -عز وجل- عنهم: "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا"(المائدة:٨٢). الذين هذه صفتهم ماذا قال الله -عز وجل- عنهم؟ قال عنهم: "لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًا كبيرًا * فإذا جاء وعد أولاهما" حين تفسدون في الأرض إفسادًا كبيرًا يأتي وعد الله عليكم فيبعث الله عبادًا له وانظروا في قوله: "عبادًا لنا" نسبهم الله -عز وجل- إليه أي: أنهم مؤمنون خُلّص ينصرهم الله -عز وجل- على هؤلاء اليهود. فيقول: "بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولًا".

ثم يقول الله -عز وجل-: "ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا". أي: ستكون لليهود دولة أخرى وقائمة بعد أن يتوبوا وبعد أن تصلح أحوالهم ثم يرجع الله -عز وجل- لهم شيء من أفضليتهم، فلما يطغوا ويتكبروا ويرجعوا للإفساد من جديد يُرجع الله -عز وجل- عهده مرة أخرى قال تعالى: "ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة"(الإسراء:٦-٧).

قال المفسرون في وعد الآخرة: من معانيها أنها الوعد الثاني ومن معانيها أيضًا أنه الوعد الأخير أي: أنه لا تقوم لليهود بعدها قائمة، وأيًّا كان فهو وعد من الله أن يكون هناك وعد ثانٍ وهذا الوعد سيسوء وجوه اليهود معناها ليس أنهم سيدخلون ويستحلون حرمتهم، وأيضًا يسوؤوا وجوههم من الذلة والهوان، ويدخلوا المسجد معناها أنهم منعوا هذا المسجد من أهله فدخلوا المسجد، قال تعالى: "وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا" (الإسراء:٧).

عندما يأتي المفسرون إلى هذه الآيات بعضهم ينشغل بمتى كان هذا الإفساد، الآن نحن نتكلم عن الإفسادين مرتين منهم مَنْ قال إنها بعد الإسلام وأن هذين الإفسادين يقابلهما أن الله يبعث عليكم من يسوء وجوهكم ومن يستبيح حرمتكم، وبعد هاتين المرتين قال الله -عز وجل-: "وإن عدتم عدنا"(الإسراء:٨). فكل مرة يعود فيها اليهود للإفساد يعود الله -عز وجل- عليهم بالذلة وبتسليط الأعداء عليهم، وذلك قائم إلى يومنا الحاضر، فانظروا إلى تسليط الله -عز وجل- من عباده على اليهود عبر التاريخ من الكفار ومن الفجار أو من هتلر في الواقع الحالي إلى قيام الساعة، لأن الله كتب عليهم أن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب فيسوء وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة.

في آخر سورة الإسراء جاءت بعض الآيات تكملة لهذا المقطع قال الله -عز وجل-: "وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا"(الإسراء:١٠٤).

بعد أن ذكر قصة موسى في بضع آيات، هكذا انتهت سورة الإسراء بهذه الآية فيما يخص الوعد لبني إسرائيل أن اسكنوا الأرض متفرقين، فإذا جاء وعد الآخرة يعني الموعد الأخير والموعد الذي ستكون فيه نهاية اليهود قال: "جئنا بكم لفيفًا" أي: جئنا بكم مجتمعين في مكان واحد،

ولذلك كل هذا التجميع لليهود في فلسطين قد يشعر الإنسان أحيانًا أن فيها ضعف ونكاية بالمسلمين، والحقيقة أنها قد تكون هي زوال اليهود لأن هذا موعدهم فكل ما تجمعوا كان هذا إيذانًا بزوالهم.

ولذا فإن اليهود المتدينين فيهم يحاربون الصهاينة، ويحاربون فكرة الوطن القومي لليهود وهم ضده، وربما رأيتم أن لهم مظاهرات دائمًا في نيويورك وغيرها يسمون هذه المظاهرات ضد فكرة أن يكون هناك وطن قومي لليهود، وعندهم النبوة في التوراة أن متى ما اجتمعنا كانت هي نهاية اليهود هذا عندهم في التوراة، وأما في القرآن فعندنا هذه الآية قوله تعالى: "فإذا جاء وعد الآخرة" الموعد النهائي والأخير "جئنا بكم لفيفًا".

ثم يقول الله -عز وجل-: "وبالحق أنزلناه وبالحق نزل"(الإسراء:١٠٥). الآن هذه الآيات التي تتحدث عن اليهود. دخل المسلمون المسجد الأقصى في أول مرة في سنة ١٥ هجريًا في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فافتتح المسجد الأقصى في عهده ودخله، وكانوا تحت حكم النصارى والرومان في ذلك الوقت، قالوا لن نسلم المفاتيح إلا لشخص نعلم صفته مكتوبًا لدينا، قيل لهم أن الخليفة هو أصلًا من سيأخذ منكم المفاتيح، فلما جاء عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في القصة المعروفة حينما جاءه أبو عبيدة -رضي الله عنه- واستقبله في الطريق، فإذا هو وغلامه يتعاقبان على بغلة، وإذا هو ممسك بحذائه رافعه و يمشي حافيًا، لأنهم مروا في طين، وعندما دخلوا واقتربوا من بيت المقدس فإذا الذي كان راكبًا هو غلامه والذي يسوق الدابة هو الخليفة عمر -رضي الله عنه- فلما رآه أبو عبيدة -رضي الله عنه- قال له يا أمير المؤمنين لو أنت الذي تركب على الدابة ولو تغير فقط ثوبك وأراد أن يعطيه، فقال له كلمته المشهورة قال: (**إنا قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله**). فليست هي بالشكل ولا بالهيئة، فلما دخل عمر عليهم بهيأته تلك قالت القساوسة الذين كانوا ينتظرونه هذا الذي نجد صفته عندنا في الكتاب!

فسلموه مفاتيح بيت المقدس، وبالفعل دخل بيت المقدس وصلوا فيه.

فتحها الثاني ما دمنا في هذا السياق في عهد صلاح الدين الأيوبي، متى فتحها؟ لاحظوا الفتح الأول للمسجد الأقصى كان في ١٥ هجريًا، وبقيت مع المسلمين ما يقرب من ٤٧٠ سنة! فلم تسقط منهم إلا في الحروب الصليبية في ٤٧٦هـ تقريبًا وكان فتح صلاح الدين للمسجد الأقصى في عام ٥٨٤هـ بعد أن استولى عليها النصارى تقريبًا ٨٨ سنة.

قال الله -عز وجل- في الآيات: "عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا" (الإسراء:٨).
كيف تكون رحمة الله لهم؟

تكون رحمة الله لهم بتلك العقوبة التي أنزلها عليهم في الدنيا، هذا نوع من أنواع الرحمة، وأيضًا بهذا القرآن، فجاءت الآيات بعده مباشرة بقول الله -عز وجل-: "إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" (الإسراء:٩).

لما نقرأ تسلسل الآيات من قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ". وكيف أن هذه الأمة انتقل لها هذا الكتاب وورثت الرسالة والنبوة وأنها خاتمة الأمم، ثم عرج الله -عز وجل- عليهم بكيف تكون بني إسرائيل وماذا حصل منهم في الإفساد وأن ليس بين أي أحد من الخلق وبين الله حسب ولا نسب وإنما هو عملك الصالح،

فيقول الله -عز وجل- في نهاية هذا المقطع من السورة: " إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" (الإسراء:٩). هداية القرآن هداية مطلقة لمطلق الخلق في مطلق الظروف الزمانية والمكانية، فالله يهدي الهداية المطلقة ويشفي تلك الحيرة في قلوب الناس، وفوق هذا هي هداية مطلقة لمطلق الخلق أسود، أبيض، عجمي، صيني أو ياباني أيًا كان، فيهديه الله -عز وجل- في مختلف الظروف وفي مختلف الأزمنة والأمكنة، ومن أبواب رحمته التي يقول الله -عز وجل- عنها: "عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا" (الإسراء:٨).

وأن الله -عز وجل- يخفف للناس أو لا يستجيب للناس دعاءهم بالشر، ولذلك قال الله -عز وجل- بعد هذه الآية: "وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا* وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا" (الإسراء:١٠-١١). وقوله تعالى:" وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ " (يونس:١١). فيتمنى الإنسان أحيانًا شيء يرى أنه هو الخير والحقيقة أنه هو شر له، ولذلك الله -عز وجل- قد لا يستجيب لك دعاءك الذي تظن أنه مهم بالنسبة لك والله يعلم أنه شر لك.

ثم يقول الله عز وجل في نهاية هذه الآيات من هذا المقطع: "وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً* مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا" (الإسراء:١٣-١٥).

الآن يقرر الله -عز وجل- في هذه الآيات أن مناط الهدى والمحاسبة تكون على قرارك الشخصي! الله -عز وجل- يعلم كما قلنا قبل قليل أنه ليس بين العباد وبين ربهم حسب ولا نسب وإنما هو عملك الصالح، فاليهود كانت أعظم الأمم وكانت خير الأمم في زمنها، ومع ذلك حينما أفسدوا سلط الله عليهم من يستبيح حرمتهم "وإن عدتم عدنا". والدرس ليس لبني إسرائيل فقط وإنما هو للأمم من بعدهم بالسياق نفسه "مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا".

وفوق هذا كله حسابك يوم القيامة حسابًا فرديًا على نفسك " وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ " طائره يعني:

عمله فالإنسان يلزم عمله في عنقه، تخيلي المشهد أن كل عمل تعمليته أنت كأنه مربوط في عنقك، فتمشين يوم القيامة وعملك الصالح أو عملك السيء كله مربوط في عنقك " وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا" يسجل فيه كل الأعمال "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً".

وللمزيد من التقرير في هذه القاعدة ينهي الله -عز وجل- هذا المقطع بقوله تعالى: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا" (الإسراء:١٦). قيل إنهم قرية حاضرة البحر في يوم السبت، وسواء كانت هذه القرية أو غيرها من القرى إلى قيام الساعة، قرى، مدن، دول أيًّا كان إذا أراد الله أن يهلك هذه القرية أمر مترفيها ففسقوا فيها، فغالب هذا الفسق أغلبية صامتة ساكتة مررت هذا الفسق وهذا الفجور، فما يكون منهم إلا أن يستحقوا عذاب الله -عز وجل- ولذلك في القرية التي كانت حاضرة البحر ماذا قال الله -عز وجل- عنهم؟ قال تعالى: "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ" (الأعراف:١٦٥).

فلما فسر المفسرون هذه الآيات قال الله أنجينا الذين أنكروا وعذب الذين ظلموا، وأما الذين سكتوا فسكت جزاء من جنس ما فعلوا! فأيًا كان إما أنهم عذبوا بمن عذب وإما أن الله أنجاهم لو كانوا منكرين في قلوبهم أيًا كان لكن سكتوا فسكت الله عنهم.

نختم هذه السورة بمجموعة من الفضائل التي جاءت للمسجد الذي أُسري بالنبي -عليه الصلاة والسلام- إليه، ولهذا المسجد خصائص منها أن الله -عز وجل- قد ربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى برباط وثيق لا يمكن لأحد أن يترك هذا الرباط أو أن يقطعه،

فبمجرد أن يقول الله -عز وجل-: " سبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى المسْجدِ الأقصَى". ثم يأتي بذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- في قوله: "عبده" ثم بذكر موسى بعده التي هي دلالة على وراثة هذه الأمة لميراث الأمم السابقة من قبلها، وأننا ورثنا النبوة والرسالة إلى قيام الساعة، وبالتالي فإن هذه الفضائل هي أشبه بوثيقة ربانية للمسلمين، وأن هناك ارتباطًا وثيقًا بين المسجد الأقصى وبين المسجد الحرام. قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى) متفق عليه.

وحينما يأتي ذكر المسجد الأقصى في القرآن نجد أن القرآن يعبر عنه تارة بأنه مبارك مثل ما قلنا قبل قليل "المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" وتارة يعبر عنه بأنه مقدس قال الله -عز وجل-: " يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ" (المائدة:٢١). ويعبر الله -عز وجل- بأن المسجد الأقصى كان مهاجر الأنبياء ومقرهم قال الله -عز وجل-: "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" (الأنبياء:٧١). ويقول الله -عز وجل-:

"وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ" (الأنبياء:٨١).

وقال تعالى أيضًا: "وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ" (سبأ:١٨). إذًا القرآن يقرر أن هذه الأرض هي أرض مباركة وأنها أرض مقدسة وهي أرض هاجر إليها الأنبياء.

وقد ذكرت فضائله كذلك في السنة المطهرة في أحاديث متعددة.

- **الفضيلة الأولى:** قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه»، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»، قال: «فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء»، قال " ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين) رواه مسلم فلولا شرف ذلك المكان لما أُسري بالنبي -عليه الصلاة والسلام- إليه، ولما اجتمع في ذلك المكان مع الأنبياء وصلّى بهم.
- **الفضيلة الثانية:** أن المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى من حديث عباس روى الإمام أحمد في مسنده عن حديث أبي العباس قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبةُ بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً، ثم صُرِف إلى الكعبة). رواه أحمد، وصححه الهيثمي. إذًا قبل أن تكون الكعبة هي قبلة المسلمين كان المسجد الأقصى هو قبلتنا التي نصلي إليها، وتخيلوا أن المسلمين كانوا في مكة ويولون وجوههم أين؟ شطر القبلة في المسجد الأقصى.
- **الفضيلة الثالثة:** أنه ثاني مسجدٍ وضع في الأرض روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه- قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه). رواه البخاري ومسلم. وهو ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال كما قلنا.
- **الفضيلة الرابعة:** أنه مهوى أفئدة الأنبياء، بوّب البخاري في صحيحه باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة وروى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة -رضي الله عنهما- قال: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله، بما غطت يده بكل شعرة، سنة، قال: أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلو كنت ثم، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر) رواه مسلم..
- **الفضيلة الخامسة:** أن زيارته بنية الصلاة هي مغفرة للذنوب، روى الإمام أحمد وقال المحققون إسناده صحيح في مسنده من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن سليمان بن داود عليه السلام سأل الله ثلاثا، أعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون له الثالثة: فسأله حكما يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياه). رواه أحمد، وصححه الألباني.
- **الفضيلة السادسة:** أن الصلاة في المسجد الأقصى مضاعفة قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى، وليوشكن أن لا يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا - أو قال: خير من الدنيا وما فيها -) فلو كان لك

شبر فقط في أي أرض تطل منها على بيت المقدس يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (وليوشكن أن لا يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا - أو قال: خير من الدنيا وما فيها). رواه الحاكم في المستدرك، وصححه الألباني. الشاهد من هذا أن الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة في غيره من المساجد.

- **الفضيلة السابعة:** أن الدجال لا يدخله وفي ذلك أيضًا حديث، وأن هلاك يأجوج ومأجوج أخيرًا سيكون في أرض المقدس، قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في حديث طويل جاء في آخره من حديث النواس بن سمعان في مسلم: (ثم يسيرون -يأجوج ومأجوج- حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما" وفي رواية ابن حجر: «فإني قد أنزلت عبادا لي، لا يدي لأحد بقتالهم). رواه مسلم. الآن متى تكون نهايتهم إذًا؟ في جبل الخمر، وجاءت روايات أخرى في بيت المقدس في فلسطين.

هل هذه فقط هي الأحاديث الأخيرة بيننا وبين اليهود؟ لا وإنما الوعد قائم بيننا وبينهم إلى قيام الساعة قال النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي، فاقتله» رواه البخاري وقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود" رواه مسلم.

جاء في بعض الروايات أن هذه الأحاديث إنما تكون في الزمن الذي يكون فيه عيسى -عليه السلام- فيقتلون الدجال ومن معه من اليهود فيكون هذا الكلام، قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- في فتاوى نور على الدرب فإن عيسى -عليه السلام- يغزوهم ومعه المسلمون فيقتله بباب اللد في فلسطين قرب القدس يقتله بحربته كما جاء في الحديث الصحيح والمسلمون معه يقتلون اليهود قتلة عظيمة.

إذًا هذا الوعد هو الذي سيكون بيننا وبين اليهود، ولذلك لا تفترض أن طبيعة هذا الجيل تختلف عن أجيالهم السابقة، ولا تختلف عقيدتنا نحن في المسجد الأقصى وفلسطين عبر الأزمان ولا عبر الأمكنة ولا عبر الأحداث، ولذلك عقيدتنا في المسجد الأقصى هي عقيدة إسلامية شرعية بيننا وبينهم ميثاق ربطه الله -عز وجل- بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى الذي أسرى إليه عبده.

ولذلك معجزة هذه الأمة هي ليست فقط بحادثة الإسراء وحادثة انشقاق القمر هذه الحوادث معجزة، لكن المعجزة الحقيقية لهذه الأمة الخاتمة إنما هي القرآن.

وقد ذهبت كل هذه المعجزات وبقي هذا القرآن خالدًا محفوظًا بحفظ الله -عز وجل- هذا القرآن قال الله -عز وجل- عنه في سورة الإسراء أيضًا: " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا

مَّسْتُورًا* وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نفورًا" (الإسراء:٤٥-٤٦). أي هذا القرآن لن يستفيد منه إلا من يؤمن به. وأما هناك صنف من الناس لا يزيدهم القرآن إلا نفورًا لأن الله قد جعل بينهم وبين القرآن حجابًا مستورًا وعلى قلوبهم أكنة يعني أغلفة فلا يفقهون من هذا القرآن شيء.

فجعل الله -عز وجل- الوسيلة الوحيدة لاستقاء النصر واستقاء القوة والتمكين أيضًا مذكورة في هذه السورة، وهذه طبيعة القرآن أنه مثاني لا يذكر لك الداء إلا ويذكر معه الدواء، ولا يذكر سبب للهزيمة إلا ويذكر معها أيضًا سبب للنصر، ولا يذكر الشر إلا ويذكر معه الخير، فقال الله -عز وجل- موصيًا لنبيه وأمته من بعده: "أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا * وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" (الإسراء:٧٨-٨٢).

سنأخذ خمس قواعد ننهي فيها هذا الدرس، وهذه القواعد هي عبارة عن آيات جاءت في هذه السورة، وأنصحكم في أقرب وقت أن تقرؤوا في تفسير سورة الإسراء لأنها سورة عظيمة ككل سور القرآن.

- **القاعدة الأولى:** قال الله -عز وجل-: "إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا " (الإسراء:٧). هذه قاعدة الجزاء من جنس العمل وهي مكررة كثيرًا في القرآن، الله سبحانه يؤكد عليها قال تعالى: " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا" (فصلت:٤٦). يقول الله تعالى أيضًا: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شرًا يره" (الزلزلة:٧-٨).

لا تظن أن تفريطك أو ترددك أو نقصان دينك لأي سبب من الأسباب هو خسارة للأمة بل هو خسارة شخصية لك أنت! في كل مرة تفرط فيها بمبدأ من مبادئك العتيقة أو الأصيلة، أو تفرط في خير كنت تعمله، أو خطوة أخذتها لله ثم تنازلت عنها تحت أي ضغط من الضغوط، لا تظن أن الأمة خسرت بذلك أبدًا وإنما الخاسر الحقيقي هو أنت.

- **القاعدة الثانية:** قال تعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" (الإسراء:٩). قلنا قبل قليل أن القرآن يهدي مطلق الهداية لمطلق الخلق في مطلق الزمان والمكان. فالقرآن يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل وأعدل الأحكام وأنصع العقائد وأحسن التعامل وأجل الأخلاق، فمن اعتصم به كان أكمل الناس شأنًا وأهداهم سبيلًا، والعكس صحيح.

ومن ضل عن القرآن فإن له معيشة ضنكًا، ومن يعرض عن ذكر الله -عز وجل- ويتنكب طريقه فإن له معيشة ضنكًا في الدنيا ويحشره الله -عز وجل- يوم القيامة أعمى، قال تعالى: " وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليومَ تُنسَى" (طه:١٢٤-١٢٦).

- **القاعدة الثالثة:** هي قول الله -عز وجل-: "وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولا "(الإسراء:١١). ويقول الله -عز وجل- "خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ" (الأنبياء:٣٧) .

نحن متعجلون نريد للسنوات أن تمضي بسرعة، ونريد الأحداث أن تمشي بسرعة ليس لدينا صبر، نريد سريعًا أن نرى الحلقة الأخيرة وماذا ستكون نهاية الأحداث لعام ٢٠٢٠! وننسى أحيانًا أن الامتحان ليس في النهايات، امتحانك الحقيقي هو في هذه الأيام التي تريد أن تخطرها بسرعة، هو يومك وفي ساعاتك التي تعيشها أنت الآن، هذا هو امتحانك الحقيقي،

فلن تُسأل عن المستقبل ولن تسأل عن الأحداث القادمة لا تشغل نفسك فيها، وأما الماضي فإما أن تسأل الله القبول أو تستغفر الله من ذنوبك، لكن أنت الآن مستأمن على لحظتك الحالية وعما تقوم به الآن من واقعك وزمنك الحالي، ولذلك لا تستعجل وإنما تأنى في ذلك والتؤدة خير في كل شيء إلا في عمل الآخرة.

الناس يأخذون العكس يتعجلون في كل شيء إلا الآخرة، مع أن الله -عز وجل- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- يأمرنا أن نتأنى والتؤدة يعني التمهل في كل شيء خير إلا في أمر الآخرة، فإذا قررت أن تفعل أمر فلا تعلقه بشيء حادث، مثلًا أنت قررت أن تترك الشيء الفلاني أو أن تفعل الشيء الفلاني اذهب الآن وافعله، وإن استطعت أن تحدث به نفسك فانوه الآن ولا تعلقه بشهر قادم ولا بسنة قادمة، ولا تقل لاحقًا لأنك لا تأمن نفسك لاحقًا هل سيكون لها نفس هذه الهمة والإرادة أو لا.

- **القاعدة الرابعة:** يقول الله -عز وجل-: "وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا" (الإسراء:٢٠). أي: أنه لا يقف أي شيء أمام عطاءات الله -عز وجل- فإذا أراد الله لعبده خيرًا لا يوجد إنسان يستطيع أن يوقف هذا الخير أمامه، وإذا أراد الله -عز وجل- أو كتب الله على هذا العبد أي شيء قد يكون في ظاهره شر له فلا يوجد شيء يمنعه منه.

- **القاعدة الخامسة:** قول الله -عز وجل- للنبي -عليه الصلاة والسلام-: " وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا" (الإسراء:٧٤).

لاحظوا لولا تثبيت الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم- لكاد النبي أن يركن إلى الذين كفروا شيئًا قليلًا، أي أن أهل الكفر وأهل الفجور والفسق لا يتوانون عن محاولات إثنائك عن الخير، سيدخلون معك في مفاوضات ويدخلون معك في جدل، وكمية الناس إلى يومنا الحاضر التي تجادل عن الأسود أنه أبيض عيانًا، تقول لهم يا جماعة هذا أبيض ويقولون لك لا أسود! الناس التي تجادل فيه ليست قليلة.

- **القاعدة السادسة:** ولذلك جاء في القاعدة الأخيرة التي نختم بها. قال تعالى: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا" (الإسراء:٨١).

الباطل مهما كان ضخمًا ومهما كان عظيمًا وكبيرًا وقويًا ويملأ الأفق إلا أن أمره إلى زوال، لأن الله سبحانه قال إنه زهوقا، أي: صفته أنه لا يملك الاستمرارية ولا يملك عوامل الديمومة، فلا يوجد أصلًا في ذاته صفات الديمومة، لا يقدر أن يستمر لأنه لا يستند لا على شرع ولا على فطرة ولا على إمداد ولا عون من الله، لذلك يبقى هذا الباطل زهوقًا مهما كان.

ولأنه باطل فهو ينتفش ويكبر ويتضخم ويظن الناس أنه على غلبة وأن القوة له لكنه مثل الزبد، أخبرنا الله -عز وجل- عن الزبد أنه ماذا؟ يغطي الماء ويغطي البحر بأجمعه حتى لا ترى البحر إطلاقًا وتظن أن أمامك كله زبد، ثم موجة واحدة من هذا الماء فيذهب الزبد بعيدًا قال تعالى: " فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً " (الرعد:١٧). أي: يتلاشى "وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ"(الرعد:١٧).

وكما بدأنا بسورة النحل وقلنا إنها كانت مقدمة لسورة الإسراء، هذه السورة التي اشتملت كثيرًا على ذكر القرآن حتى تكرر فيها ذكر القرآن إحدى عشرة مرة،

وقلنا إن هذا الكتاب وهذا القرآن هو الميراث الذي ورثه النبي -عليه الصلاة والسلام- والرسالة التي ختمت بها النبوات، لذا كانت بداية سورة الكهف بقول الله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا" (الكهف:١).

فتكرر لفظ العبودية مرة أخرى، والمنة عليه بإنزال هذا الكتاب وبختم هذه الرسالة بنبوته -عليه الصلاة والسلام- فأمانتنا هي أمانة ثقيلة تحملها النبي -عليه الصلاة والسلام- وتتحملها هذه الأمة من بعده، فليست العلاقة بيننا وبين المسجد الأقصى في فلسطين هي علاقة سياسية أو علاقة أرض أو علاقة قومية أو عروبة، وإنما هي علاقة دين وإسلام وكل هذه الفضائل والرباط الذي ربط الله -عز وجل- به بين المسجد الحرام وبين المسجد الأقصى هو دليل على ذلك.

أسأل الله أن يرزقني وإياكم صلاة في المسجد الأقصى وهو محررٌ عزيزٌ شامخٌ، وأسأل الله أن ينجي المستضعفين والمكروبين في كل مكان، وأسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يحبهم ويحبونه، وألا يجعل بيننا ولا فينا ومعنا شقيًا ولا ضالًا ولا محرومًا، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها